إليزابيث غريك

بين بحر وبحر

ترجمته من المالطية:

د. مارية باكلا

شعر

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بين
بحر
وبحر

شعر

مارية باكلا، مترجمة حاصلة على شهادة الماجستير في الترجمة، وعلى درجة الدكتوراة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من جامعة هلسنكي – فنلندا. ترجمت العديد من الأعمال من الفنلندية إلى العربية من بينها كتب علمية وروايات ودواوين شعرية ومسرحيات وكتب أطفال. كما صدر لها قاموس عربي فنلندي عام 2008. حصلت على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لأفضل ترجمة إلى اللغة العربية عام 2012.

بين بحر وبحر

طبعة 2023

رقم الإيـــــداع: 2022/27271

الترقيم الدولي: 978-977-821-305-8

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

This publication was funded by the National Book Council's Malta Book Fund 2022.

Bejn baħar u baħar (Between sea and sea)
© 2020 By Elizabeth GRECH, Merlin Publishers.

NATIONAL BOOK COUNCIL

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

إليزابيث غريك

بين بحر وبحر

شعر

ترجمته من المالطية:

د. مارية باكلا

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

غريك ، إليزابيث
بين بحر وبحر: شعر/ إليزابيث غريك، ترجمته من المالطية:
د. مارية باكلا
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢
١٢٠ص، ٢٠ سم
تدمك ٨-٣٠٥-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- الشعر المالطي
٢- باكلا ، مارية (مترجم)
أ- العنوان ٨٩٢,٧٩١

رقم الإيداع: ٢٧٢٧١/ ٢٠٢٢

أود أن شكر أولًا وقبل كل شيء مترجمتي مارية باكّلا على حصافتها وتفانيها حيث إنها قرَّرتْ التعمُّق في اللغة المالطية لترجمة هذا الكتاب على وجه التحديد. وأودّ كذلك أن أشكر الأستاذ محمد البعلي على إيمانه بهذا المشروع منذ البداية.

ولا يفوتني أن أشكر ماسّيمو وكلير على دعمهما الدائم، وكذا مؤسسة «إينيزجامد» على خلق بيئة تمكينية تسمح بولادة هذه المشاريع.

إلى ليليا ورافائيل، نجمان صغيران يلعبان مع اللانهاية.

المحتويـــــــات

13	**أشتاق أن أنظر إلى أفكاري**
15	كلمات
17	نوفمبر
18	اتركني هاهنا
19	حيطان
20	بحر
21	جذور الأرض
22	حتى عرفتُ ما لوني
25	المرأة النائمة
27	**إلى اللانهاية أحبك، ماما**
29	ربع ساعة
32	بشرتك مطبوعة على جسدي
33	اللانهاية
34	نجوم
36	شمس باريس
37	أنا والشمس
38	صوتك
40	أنا امرأة
42	زهرة
44	زُرقة
45	الشمس تغيب في البحر

47 **النجوم التي سكبتها شفتاك بداخلي**
49 أحببتني
51 آثار
52 كل مرة

53 رام الله
54 فلفلة
55 سان جيرمان
56 عوالمك
58 لماذا ترحل
60 نسيم
61 فراشات
62 إيريك ساتيه غنوسيان رقم 1
63 شامة
66 أنا وأنت
68 مؤتمر
70 سواد عينيك
72 قمر
74 اسمك
75 مترو
76 إلهة
77 صوت الموج
78 حصون
80 عصفور
81 جُزُر
83 ديسمبر

85 سراج الليل
87 رمانة
88 على حافة الربيع

91 ابتسامة مُتخَمة بالذكريات
93 إخوة
94 بِحارك
95 معبد حجر قيم
96 الليلة شيّعتَني ثانية
97 صديقتي

99 احكِ لي كيف غادرتنا
101 أورلي
102 كرَزة
103 دانيال
105 العمة طونينا
107 الخريف
108 كل شيء يا بابا
110 مرآة
111 عندما أسلمت الروح
115 ما تبقّى
118 حُبٌّ موارب
120 ثلج

أشتاق أن أنظر إلى أفكاري

كلمات

هذه الكلمات كلها تسبح في ذهني

سأغوص وراءها

وأصطادها

كلمةً كلمةً،

أعصرها كقطعة قماش،

أنشرها وأثبّتها بمشابك الغسيل،

أنتظرها حتّى تجف،

تتقرمش،

تتقدَّد،

في شمس أغسطس الحارقة،

ثمَّ أفرشها

واحدةً واحدةً

على بلاط الفناء الباهت

أرْهِفُ أذني

فربّما أسمع ما تريد قوْله لي

قبل أن ينزل أول مطر ويبلّلها

ويُتلفها

كورقة نُسيَتْ

داخل جيب وغُسلت.

نوفمبر

أشتاق أن أنظر إلى أفكاري

مثلما أنظر إلى أوراق شاحبة

تُراقصها رياح نوفمبر.

أشتاق أن أنظر إلى أفكاري

مثلما أنظر إلى السَّحاب

قطن يتدلّى من السماء.

أشتاق أن أنظر إلى أفكاري

مثلما أنظر إلى ريشة

تتهاوى ببطء على الأرض.

اتركني هاهنا

اتركني هاهنا،

أتقوقعُ كحلزون

في حضن القمر

إلى أنْ يعود ربيع باريس

بألوان الخريف.

حيطان

هذه الحيطان مُبقّعة

بالريح،

مُثَقَّبة بذكرياتٍ

من شتّى الألوان،

هذه الحيطان

تعرف عنّي كل شيء،

تعرفني من رأسي حتى أخمص قدمي.

بصُفرتها أستأنس،

في حُمرتها أدُسّ

آخر أثرٍ

لِإثْمٍ،

لِخزْيٍ قديمٍ

دفين.

بحر

أغمس أصابع قدميّ

فيك،

وأنت

تغسل فكري

تشطف دمي.

أرتمي في حضنك

وأُنْبِتُ

جناحين

في ظهري.

جذور الأرض

جذور الأرض تسلَّلتْ

خِلسةً زحفتْ

من باطن قدميَّ

والتفت حول ساقيَّ.

تثاءبت البَتَلات فيَّ.

شعرتُ بدغدغة التراب بين أصابع قدميَّ.

المَوْج يقضمني،

الريح تأكل مني.

لكنّي لن أبرح مكاني؛

قد تتفرّع أغصاني

لكنّ الأرض تُثبّتني.

حتى عرفتُ ما لوني

نزعتُك

كجلد ثعبان،

كفستان قديم،

وارتديتُ آخر

جديدًا.

معك

خرج من قلبي؛

من كل ثَنيَة في جسدي

من كل تجعيد

صخبٌ يُصَرْصِر،

رائحة أدراج مُغلقة،

ضيقات مكبوتة،

دموع عفنة،

فقاعات أمل

مفقوعة،

بوْساتٌ مهجورة

كلماتٌ مكسورة،

لحظاتٌ كانت

ولحظاتٌ كان من الممكن أن تكون

لكنّ القمر أحبّني.

جرَت النجوم في دمي،

ضوء الشمس وصلني

واخترقني،

وملأ المطر

الشقوق التي تركتها.

شيئًا فشيئًا

اتَّسع قلبي أفقًا

انفتح كإسفنجة

استعادت حجمها

أشرقت نورًا

وتفتَّحت زهورًا

واحدة داخل أخرى

واحدة أكبر من الأخرى

واحدة تغطي الأخرى.

نبتت منّي بذور

جديدة.

حبيبي،

لم أعد بحاجة إليك.

ضعتُ فيك

لكي أعرف

أكثر قليلًا

ما لوني.

المرأة النائمة[1]

لمحتها أنت

تلك المرأة النائمة

بداخلي،

مُستأزرة،

مُستلقية،

يدها تحت خدها،

مستريح صدرها

ردفاها ممتلئان،

خصرها نحيل.

هذه المرأة البارعة مثلك،

رأيتَها أنت

وأنا لم أتعرّف عليها.

1- المرأة النائمة هي تمثال أثري لامرأة بدينة تنام على جنبها الأيمن. التمثال يعود إلى العصر الحجري ويُعرض في متحف مالطا الوطني للآثار.

يدك الدافئة

على بطني البارد

نفضت عنها النوم

وتفتّحتْ كزهرة

تحت عيني القمر.

اتّخذتْ مكانها

في كل منعطف في جسدي،

إلى أنْ صرْتُ

أنا وهي

امرأة واحدة.

إلى اللانهاية أحبك، ماما

إلى ليليا ورافائيل

ربع ساعة

رحمها خاوٍ.

عضلاته مرتخية

تعود

إلى أماكنها

ببطء.

وركاها مكدومان

ساقاها خائرتان

ترتعشان من المخدر

الذي يسري في الأوردة.

لكنها الآن

صلبة لا يقوى عليها شيء:

تحمل الخليقة

بين ذراعيها.

سعة قلبها

رَحُبَت،

أكثر بكثير

مما قيل لها.

موجة هادئة

أخمدتْ رجفة الألم.

ظلّت عيناها مثبَّتتين

على تنفسّه صعودًا ونزولًا،

على صِغَر شفتَيْه،

حتّى انتفخ ثدياها

وكادا ينفجران؛

يقطران ياسمينا.

تُدرك

أنه يوشك أن يتحرّك

أن ينطلق ببكاء

يبحث عنها.

ويتلاشى بكاؤه

ما إن يصله حليبها.

خلال ربع الساعة تلك،

ليس في الوجود إلّا

هي وهو.

بشرتك مطبوعة على جسدي

بعد أن حملتك تسعة أشهر

وأرضعتك ثلاثة أخرى

أعود للعمل.

رائحة عينيك عالقة بأنفي،

بشرتك مطبوعة على جسدي،

ملابسي ملطخة

(عندما تتوق إلى ثديي

دون أن تكون معي).

قدماي حملتاك ليالي بلا نوم،

بطني فارغ مترهّل،

لكن

قلبي حامل

ممتلئ بك.

اللانهاية

إلى اللانهاية أحبك يا ماما،

قلتَ لي.

ولكن عندما نصبح نجومًا

أنا وأنت

هل ستعرفينني؟

نجوم

الشمس تعبت وأنا

أشتاق أن أرقد في ظلام عينيك

لكي أقع في قلبك

وأبقى في فكرك.

أريد أن أرقد جنينًا في رحمك

لكني أخاف من الظلام.

قلتِ لي ورأسُك على المخدة:

عصافير بطني تزقزق لك

تريد أن تحادثك.

تريدك أن تحكي لها أسرار القمر

سألتِني وشفتاك علامة استفهام:

تُرى يكون لك مكان على القمر؟

وجمعتِ النجوم الذهبية،

ألصقتِها بشريط لاصق

على ورقة بيضاء.

وقلتِ:

هذه لك يا ماما.

شمس باريس

أحب الحياة التي ترقص فيك

حين تقولين لي في السابعة صباحًا

إن الشمس مُتعبة

ولا تريد أن تشرق

اليوم أيضًا.

وأنا أحاول أن أشرح لك

أن باريس في الخريف،

تلتحف بالرمادية وتنعس.

أنا والشمس

أنا سلطانة الشمس،

شعري طويل وناعم وأسود

مثل شعرك يا ماما،

قالت لي.

أنا سلطانة الشمس السمراء،

أنظر إلى أصابعها الطويلة المستقيمة

التي تداعب عينيَّ

بدفئها

في كل صباح

حين أكون في مالطا.

أنظر إلى الأصابع يا ماما،

وإلى الغبار الذي يرقص حولها

ولا تتضايق عيناي.

صوتك

بداخلك يا ابنتي

أصوات وكلمات

أحمر قانٍ،

دم ولحم وقلب

من أرضيْن

معلقتين

بين بحر وبحر.

انسجامك

أكثر بكثير من انسجامي.

أبتهج لسماع

اللحن الأجنبي

في صوتك المالطي.

صوتك أهلِي.

جعلتِ صوتي صوتَك.

وأحجاري أحجارَكِ.

لا أحتاج لأن أعلِّمك

فكلُّ شيء فيك

والقمر ملكك

لأنه يعرف كل شيء.

كل شيء.

حتّى أصغر نجم.

أنا امرأة

أنت أم

لست امرأة

هكذا قلتَ لي يا ابني،

لأنك تريدني لك وحدك.

لكني امرأة.

امرأة ثم أم.

أنا أم لأني امرأة.

تشتاقُ أن تعود وتتقوقع

في رحمي كحلزون.

تريدني أن أحملك معي دائمًا.

وأنا أحاول أن أرضيك،

أخبرك أنك ستكون معي دائمًا

أني أحملك في كل زاوية

من زوايا روحي.

لأنّك كبرت بداخلي،

ولأنّي أعرتُك جسدي وأنفاسي.

لأنك خرجت مني.

لكنك لست ملكي.

أنت ملك نفسك وحدك.

زهرة

كل يوم تقطف زهرة

في طريقك إلى البيت

من المدرسة.

أو بالأحرى زهرتين

واحدة لي

ولأختك الأخرى.

اليوم،

لمحتُ مرةً أخرى

عينيك ترقصان

في بياض الزهور.

رأيتك تجلس،

تقلع البَتَلات

بِأَناة.

واحدة تلو الأخرى،

تنظر إليّ،

تعلو وجهك ابتسامة مشرقة

وأنت تقول لي:

ماما،

الوردة

الآن

عارية.

زُرقة

أحبُّ الزُّرقة

يا ماما.

زرقة السماء والبحر،

الزرقة الآسية المتموجة

الزرقة المُناغشة

التي ألمحها

في سواد عينيك.

الشمس تغيب في البحر

أمي، علّميني أن أغفو
الشمس غابت وراء البحر
والنوم غائب عن عيني.
هكذا قلت لي.
ابني،
عُدّ العصي التي تجدها
في طريق عودتك من المدرسة،
عدّ الحصى والصدف
المملوء بأغاني البحر.
شُمّ رائحة الموج
يمد ويجزر.
استكِن في قوقعة الحلزون
التي تحب أن تخبئها في جيبك.
غمرتك بذراعي
وفي أذني همست لي أسرارك:
سأغمض عيني،
وأهدهد نفسي وأخلد للنوم،
ولكن لا تخبري أحدًا.

في كُمّي
أ حفظُ البوسات
التي طيَّرْتِها لي هذا الصباح
عندما كنتُ
أتظاهر
بالنوم.

النجوم التي سكبتها شفتاك بداخلي

أحببتني

رأيتني امرأة

امرأة كمنظر طبيعي،

وأحببتني.

أحببتني بما يحمله جسدي

من وديان وسهول،

من حفر وتلال،

من رحابة وانحصار.

أحببتني

كموجة،

هادئة، مضطربة،

وسمحتُ لبياض الغيوم

المغشى بالرمادية

أن يعبرني.

رأيتني امرأة

في حمرة الشفاه

التي أطبعُها على خدّ ابني

كل صباح

قبل المدرسة.

وقلتَ لي

أنتِ حُمرتي؛

وأجبتُك:

أنتَ كل الألوان

التي تتلألأ في عينيَّ.

آثار

ليتني أغوص في الوادي

الذي بين رقبتك وكتفيك.

ليتني أترك آثار الشوق

على بشرتك

الناعمة.

ربما تتذكرني يومًا ما.

ولو مرة.

كل مرة

كل مرة ترتدي معطفك
وتغلق الباب وراءك
أبقى أنا في عُري الفراش
في حضن الأرق.
في مرارة ليلة عاصفة،
أتعلق بكل ذكرى،
أتأرجح في الفراغ
مع كل نظرة
أُغفِلتْ،
مع كل كلمة
أُخرِستْ.

رام الله

لو استطاعتْ

لمنحتك قلبها كلّه،

لكنها أعطت جزءًا كبيرًا منه.

لو استطاعتْ

لحبّلت هذه السماء

ولَأَتَتْ لتتذوَّق معك

طعم اللوز

الفلسطيني المرّ

ولتجتاز نقاط التفتيش معك،

تغطس في عينيك

وتتيه فيك،

إلى أن

تجدها أنت

موجًا يتلاطم في قلبك.

فلفلة[2]

خطفَتْني روحك

هذا الصباح

لكنها تركت لي طعم صوتك

يداعبني

في كلّ مرة تسبح فيها

فلفلة بداخلي.

2- فلفلة اسم جزيرة مالطية صغيرة.

سان جيرمان

أتظاهر أني لم أسمع

تلك الكلمات الجميلة.

تُصرُّ

وأختبئُ

وراء كأس النبيذ البرتغالي

أتذكر سواد عينيك

في مفترق طرق:

شارع سان جيرمان.

عوالمك

إشراقة عينيك ثابتة

تختبئ وراء النظارات المستديرة.

هربتَ

إلى عوالم أخرى.

عوالم لك وحدك.

حتّى صوتك يتغيّر

عندما تتيه وأنت تقلّب في الكتب،

باحثًا عن كلمات:

كلمات تريد أن تتركها

في حضني.

فتّشتَ الغرفة

والرفوف.

بقيت أنا في مكاني

يداي ترتاح على فخذي

أحاول مواكبتك

أراك تُفتّش في عيني

عن ذرّة جوابٍ حتّى،

لكن كل هذه المعرفة

تُربكني.

لماذا ترحل

لماذا ترحل

كلما تملكك الغضب؟

تتركني هاهنا،

أفكُّ الخيوط

أحلُّ العُقد،

أعدُّ كل وخزة

تُدمي قلبي.

أتنقّل من غرفة لأخرى،

أُعزّي نفسي بالورود

التي اشتريتها لي

هذا الصباح.

أحاولُ أن أفهم

ما يدور في ذهنك

في هذه اللحظة الصاخبة

بلا كلمات.

نظرتُك ثاقبة.

رائحتك

ما زالت هنا.

لو اقتفيتُ أثرها،

سأجدك حتمًا في حانةٍ صغيرةٍ

منكفئًا على كتاب

تقلِّب فنجان قهوة بملعقةٍ.

نسيم

لم ترَك منذ سنوات،

لكن بشرتها ما زالت ترتعش

مع هذا النسيم الـمتريّث

كلّما ذوّبَتْها عيناك،

كلّما قرَأَتْ تلك الكلمات

التي لا تنزلق أبدًا من شفتيك.

فراشات

أطير مع الفراشات

التي أيقظتها.

أعدُّ النجوم

التي سكبتها شفتاك بداخلي،

ليلة أمس.

أسبح على السطح مع أمواج

في البحر الهائج بداخلي.

هذا اللهب الخامد

يشتاق

أن يرقص عند اكتمال القمر

حتى تحين اللحظة

فأُطلق سراح الفراشات

لتعود إلى البحر.

إيريك ساتيه غنوسيان رقم 1

هذه الريح العاتية

تُريد اقتلاع الأرض بما فيها،

رغبة مكبوتة بعد نومٍ طويل.

اليوم.

بالأمس تسلَّقتُ معك القمم

حافية القدمين

على عشب ذابل دَبِق.

تعثَّرتُ بالحصى هذا الصباح،

وزلقتُ للجانب الآخر

من سرير الشبق.

جرَّني البحر إلى الأسفل،

بدَّد حلاوة كلماتك

التي كنتُ أضمُّها في يدي.

وكِدتُ أتيه.

شامة

بشرتك،

كوكبة شامات

أنهكتها

أطراف أصابعي الزرقاء.

ذريعة الفوْرة

لا تكلّمني عن الصَّبْر

لا تقل لي إنك تريد اللعب بالوقت

تغمر أنفك

بين كتفي ورقبتي،

شفتاك تثير روحي.

اختياراتك

تفسد حلاوة كلماتك

وهذه الفقاعة التي نسبح فيها

قد انتفخت حتى كادت تنفجر.

كُفَّ عن التذرع بالفورة

وعن التظاهر

بأنّ شيئًا لم يحدث بيننا.

قلبي ثقب كبير أسود

وروحي ذبلتْ.

كيف لك أن تُطفئ نور وجهي

بهذه السرعة؟

أنا وأنت

أنا وأنت

سنلتقي هناك،

في مساحات ما بين المساحات

في مساحات ما بين السنوات.

في تلك الأثناء،

كوكبي خُذروف

يستمرّ في الدّوران

في مجرّات أخرى.

وتمرّ السنين

وأجدُك مرة أخرى

خارجًا من الهاوية المائية

حيثُ سحرتْك

أغنية حورية البحر

وأنستْك من أنت.

أراك تخرجُ مُتعبًا

وألقاك في خيط النور

المُتلألئ في وجهي.

كُن رجلًا معي.

كُن رجلًا

وضعْ رأسك على كتفي.

دَعْني أحسّ بأصابعك

تُداعب خصلات شعري.

أريدك رجلًا.

لأني بحر فسيح

أنتظر

أن تسبح بداخلي.

تُؤنسني وأُؤنسك

إلى أن أعود وأطلقك

حُرًّا،

إلى أن

تجمعنا السنوات

ما بين المسافات.

مؤتمر

نظرت إليك

ووجدتُك تنظر إليّ،

مرة، مرتين...

خفضتَ رأسك

أدرتَ وجهك،

لا تعرف

ما تفعله

بيديك.

نظرتُ إليك

ووجدتني أنظر إليك.

للحظة

تعلّقت عينانا

في الفضاء

الذي بيننا.

خبَّأتُ

وجهي

في المتاهة

التي شخبطتُها

في الكُرّاسة

أتظاهر أنني أعرف ما يجري

في المؤتمر.

النظارات لا تكفي

لتخبّئني.

إلى أن عُدتُ

وأدرتُ

وجهي بعيدًا،

أنتظر

أن تنشغل

لأعاود النظر إليك.

سواد عينيك

عيناك أسرت عينيَّ.

لا داعي للتفاصيل.

خطوط مُظللة تحكي

ما تحكيه أخاديد وجهك.

تلك الذكريات الحُمر، السود، الخُضر

ليتني أنتفها واحدة واحدةً،

أمحو من ذاكرتك

جثث الأطفال الهامدة على الشواطئ

التي ما زالت تطاردك.

ليتني أتواصل

مع القمر،

أتوسّل إليه أن يصُبّ بياضه المصفرّ

ليرتق الشقوق السحيقة

التي في قلبك

لأنني أعلم أنك تعلم

أنها ما زالت مفتوحة

وخريطة بلدك

ما زالت

تتمزّق.

آمل أن ألمح مُجدّدًا

يوما ما

تلك النظرة الثاقبة

تلك الحلاوة الهادئة

المختبئة

تحت خشونة يديك،

تحت تجاعيد شفتيك،

تحت موج حاجبيك.

قمر

تفتقدك

ولا تريد إخبارك.

بل إنها قررت

ألا تكتب لك بعد اليوم،

وأنت كتبت لها:

أحدهم يفتقدك.

أهو القمر؟

صحيح. إنه القمر،

قمر *سوري.*

وانهمرت الدموع

صوتك الأجش حمل

عبير الورد

في عينيك المشاغبتين.

أصابع يديك

تتشابك مع شعرها الناعم،

وها هي الآن تبحث ثانيةً

عن سبيل

لتنساك.

اسمك

حروف اسمك مرصوصة واحدًا جنب الآخر

حروف اسمك مرصوصة واحدًا تلو الآخر

تكتسحني كمئة ألف موجة عاصفة

حروف اسمك

تُطيِّر الفراشات المرتاحة

إلى أدراج مغلقة.

حروف اسمك

تقلبني رأسًا على عقب،

تُشتّتُني

تُذوّبني

تُلغيني.

مترو

تنتظر المترو في الجهة المقابلة

منكبًّا على هاتفك

لا تنظر إلى الخلف.

نظرت إليك

ذهني مُزدَحِم

بالصور الضبابية

لتلك الطريق الضيقة،

أعدُّ آثار يديك

على أصابعي،

آثار شفتيك المتلهّفة

على شفتيّ.

نظرتُ إليك ثانيةً

وكنتَ قد غادرت

مع ألوان المترو المتسابقة.

إلهة

أذوب في سواد عينيك

وينبتُ الورد في عينيّ.

أنت تعلم أني أعلم

أنك تتظاهر

أنْ ليس هناك أي انفعال.

أراكَ مفتونًا

لكنك خائف

تدير وجهك

لأنك تعرف من أنا

تعلم أنني من ضلع إلهة،

من حجر المرأة النائمة.

لكني أعلم أنك تعلم

أنّك يومًا ما

ستسبح

في البحر المستور في صدري.

صوت الموج

تُرسل إليك صوت الموج المتلاطم على الصخور

وأنت تجيبها

كم جميلٌ أن تستيقظ

في الصباح بهذه الحلاوة.

لكنها تريدك أنت،

تريدك أن تنزل إلى هنا لتُعزّيها

تريدك كلّك،

تريد أن تسمع ثانيةً صوت شفتيك المالح

يتأرجح مع الموج

موجك

وموجها.

لكنك بعيد

أنت بحر آخر.

حصون

تنزف

أمام المرآة

لتهرب

من عينيك،

دون أن تُدرك

جوهرك

في كلّ امرأة

أحببتها

دون أن تُحبّها.

فأنت عاجز

عن الحب،

قلبك مُقفل

مُحتمٍ بالحصون.

تُبتَلع

-دون أن تدري-

من الحزن

الذي يَشْتفُّك

شيئًا

فشيئًا.

عصفور

أنت عصفور

الرُّبى

العاري.

وبحري

بأمواجه كلُّها

لا يستطيع

ترويضك

ولا حتّى

إبقاءك

مرتبطًا بي

لأنّ مياهي

لا تملك

إلاَّ أن ترتمي في حضنك

تراك تُحلّق فوقها

في دوائر

لا نهائية.

جُزُر

خذني معك

نعبر الخطوط المُجعّدة

نصلح مَزْق

البحر المتوسّط.

إذا كان هناك مكان لي،

دعني أذوب

بين خطوط

بشرتك الناعمة.

دعني أغزل

عقدًا من ورق الغار

أعلّقه

بين جزيرتي

وجزيرتك.

تعال،

أَرِحْ رأسك

على كتفي

دع أفكارك

تُبحر

في شذى الأَرْز

الذي يفوح من الجدائل

التي نسجتَها في شعري.

ديسمبر

تحت أسطح باريس

برج إيفل وقبة ليزانفاليد،

يتطفّلون علينا من نافذة

تلك الغرفة الزوراء

بينما كنتَ تُخطّط

على خصري

كلمات مثيرة،

وتشدّ شعري

كلّه دفعة واحدة

وتخبرني كم يجنّنك.

هذا الصباح

عندما أخبرتني

كم أنت مشغول،

انتبهت

أنني قطعة صغيرة.

أردت ولو نتفةً

من قلبك

وما زلت أبحث عنها

في العُقَد المتبقية في شعري.

سراج الليل

اِعلم

أن ذلك اليوم

الذي جلَدَتْني فيه

قسوة كلماتك

فرشتَ

سحابة رمادية

فوق روحي،

مزَّقتَ أفكاري

كَدَمتَ جلدي

طبقة تلو طبقة،

كسرت ظهري

فقرة تلو فقرة.

ولكن،

إياك أن تنخدع،

روحي سراج ليل

يومِض.

مهما

ذوى جسدي

يعودُ وينبعثُ

فوق سحابة

بيضاء

مفروشة.

رمانة

أشفقت أن تقشّر الرمانة
بدأت بأناةٍ
من قشرة إلى قشرة،
تذوق كل جوهرة
كل فصّ ياقوت مصفوف
تحت القشرة الصفراء.
أُدرك،
ليس الكلّ مُهَيّئين
أن يلطّخوا أيديهم بالخضاب
الذي تتركه الرمانة
في غضون الأصابع.

في كل ثمرة
كنز مكنون
ليس متاحًا
للجميع.

على حافة الربيع

قبلاتك الزرقاء

تخترق فقرات ظهري

تجعل موجي يتلاطم

تقضمني كدقائق الأيام

التي مرّتْ دون أخبار منك.

لن أنتظر أكثر.

سأستأنس برقص الأوراق البارد،

على حافة الربيع الزاهية.

سأبقى مع المَوْج،

أدعُ التيار يجرفني

يحملني معه

حتّى أشمّ رائحة الشمس

تُبقبق في مسام بشرتي.

حتّى تنْدفن الريح

في الرمال.

ابتسامة مُتخَمة بالذكريات

إخوة

الشمس التحفت بإزارٍ رمادي

وأنا أقود بك السيارة

لأوّل مرة.

حملتنا نفس البطن

ولكن فجًّا عميقًا

بيننا.

لطالما كنت كتومًا.

ذراعك بالكاد تلمس ذراعي

عن طريق خطأ مقصود.

تنظر إليّ خلسة

وأرى في صمت شَعرك شيبًا

خصلة أسى

تحمل حُبًّا مرتعشًا.

بِحارك

وأنا أقرأ كتاباتك
أسترخي في صوتك،
وبين الكلمة والأخرى
أفتّش عن التفاصيل
التي تعشقها.

وأنا أقرأ كتاباتك
ألتفُّ بموج بحارك
المتلاطم.
أنت البحر الحنون،
العاتي
الهادئ
وأنا أسترخي
على الشطآن
في كل هذه البحار،
فيك.

معبد حجر قيم

هل تذكُر كأس الويسكي بلا قطع ثلج

في حانة معبد حجر قيم؟

في نسيم ليلة صيفية،

أنا وأنت

حاولنا أن نغسل قلبينا

نُغرق الماضي،

نطفئ الغضب بسيجارة

ننسي أنفسنا

أننا نسكن غرفة صغيرة بعيدة

في سبيل الحرية.

هل تذكر الحِمل الذي يثقل كاهلنا

كلما غادرنا مالطة ورحلنا

إلى بلادٍ لا تذكرُها الشمس؟

الليلة شيّعتَني ثانية

الليلة شيّعتني ثانية.

أطفأْتَ محرّك السيارة كالعادة

ودردشنا وكأنَّنا

لم نفترق قطّ.

في نظرتِك المُشاكسة

لمحتُ ابتسامة

مُتخَمة بالذكريات.

نظرتُ إليك ثانية

ومع سلامِ الوداع

لمحةُ شعرة شيباء

تتلألأ.

صديقتي

عندما تكلّمينني

تلينُ الألوان،

وألمحُ النسيم

يُدلّل الريش،

أزهار البرتقال

تتمطّى

تفوح

نعسانة،

قطرات أوّل مطر

تتدحرج

على مخمل الورد،

إشراقة الشمس

على وجه البحر الصيفي

حياة جديدة

تُعلن

عن ربيع آخر.

أسمع صوتك ثانيةً

من بعيد في عينيك

وآتيه

في أخاديد وجهك التي تتثنّى

وأنت تعبثين بالخواتم

حول أصابعك الرفيعة.

احكِ لي كيف غادرتنا

أورلي

لم تذرفي دمعة واحدة

ولا واحدة

تدحرجت على خدك.

في آخر مرة أوصلتُك فيها

يا ماما.

قطرةً قطرةً

انسابت كلها داخل حلقك.

ابتسمتِ لي،

ولكني رأيتُ على شفتيك

صرخةً خرساء

تحكي عن الفراق المرير

الذي يُمزّقك

كلّما غادرتِ ثانية.

كرَزة

إلى جدّة فيليب

اعتني به،

قلتِ لي بصوت طفلة صغيرة

محبوسة في جسم مُسِنّ.

اعتني به

فليس عندي إلّاه.

اليوم رحلتِ ولكن لا تقلقي

لن أنسى،

لأني أحبه

تقريبًا بقدر ما

تحبينه أنت.

دانيال

مرت سنين دون أن أراك.

شاب شعرك دون أن أعرف،

لكن صداقتي لم تلبث مكانها

إلى أن حرّكتها

مكالمة منتصف مايو.

مرت ثلاثة أيام على رحيلك

بتلك الدّرّاجة النارية التي هشّمتك.

نفس الدّرّاجة التي ركبتها وراءك

مرّات لا تُعدّ ولا تُحصى

ذراعي حول خصرك

نجوب شوارع باريس

ونسخر من الحياة.

ما هي إلّا مكالمة،

وارتأت لي

تلك الابتسامة المُشاكسة

في عينيك الرماديتين

تسبحان في دموع

لا تتوقف.

مجرّد مكالمة،

وها أنا ذي مرّة أخرى

أرى وجهك يتأثر

مع نوتات القيثارة

التي تعزفها.

قبل أن أتركك

تتركني

أستمر...

العمة طونينا

هذه المرّة

لم تُطلّي

لتري هل وصلت

وهل أتعبتني الرحلة.

هذه المرّة

لم أعبر الحديقة

وأنا نعسانة وكوب الشاي في يدي

لنتحدّث.

عيناك تناديانني

من النافذة المطلّة على الفناء.

هذا الصباح، لم تأتي

لتطرقي باب الحديقة

طرقًا خفيفًا

لئلّا توقظيني.

هذا الصباح، لم تأتِ

لتسأليني متى عدت.

وحده صمتُ صوتك

يتلألأ بداخلي.

وأخاف جدًّا أن أنساه.

الخريف

البتلاتُ الوردية الشاحبة

تطير من الشجرة التي أمامنا

واحدة تلو الأخرى

مع هبّة الريح

كالأيام القليلة الهشّة

التي بقيت لك.

ليتني أضمّها في حضني،

أجمّعها تذكارًا

لرائحتك،

ولكن الريح تهبّ،

الريح أكبر مني،

والبتلاتُ الوردية الشاحبة

تطير

واحدةً

تلو الأخرى

من بين أصابعي.

كل شيء يا بابا

من داخل السرير أشعر بوقع

خطاك

على برْد البلاط.

أذوق حلاوة الفجر في عينيك،

أشمّ لهفة صوتك

كلما عدت إلى مالطة

بعد غياب شهور.

أسمعك تنزل الدرجتين

اللتين تؤدّيان إلى غرفتي،

وأنتظر الابتسامة:

روحي

(وحدك تناديني هكذا)

هل نمتِ جيّدًا؟

هل أحضّر لك القهوة؟

(وحدك تحضر لي القهوة).

لا أطيق النسكافيه

لذلك لم أقل لك نعم قطّ.

كنتُ في كل مرّة أعبس لك

أتَذَمّر همسًا

ثم أتابع النوم

في هدوء الكولونيا

التي تبقى وراءك

بابا،

هل ستحضر لي القهوة؟

مرآة

نظرتُ
في المرآة
وبدل
أن أراني
أنا
رأيتك
أنت
تبتسم لي.
أدرْتُ
رأسي
ولمحت
فراشة
ساكنة
منسيّة
على
كتفي.

عندما أسلمت الروح

أيام قليلة بعدما

أسلمت الروح يا بابا

أنا وماما في المطبخ

ننظر لبعضنا من حين لآخر

الكلمات عسيرة،

كثيفة كالضباب،

ثقيلة كغيابك.

تبدأ هي.

تحكي لي لخامس مرة

(ولا أخبرها بذلك

حتى أسمعها ثانيةً)

تحكي لي كيف غادرتنا.

من عينيها

انهمرت دموع ناشفة

على وجهها المُضنى

وتدلّت من هالات

ليالٍ بلا نوم.

تخبرني كيف كانت تمسك يديك،

تداعب وجهك

وتؤكّد لك أنها

لن تتركك وحدك أبدًا.

أبدًا.

الكلمات التي في أعماق قلبك

أثقل بكثير من أن تصل إلى شفتيك.

أغمضتَ عينيك.

وظنّت أنك نمت.

لكنك كنت قد رحلت.

أستمع إليها ثانية.

وتعصرُ العتمة قلبي.

حلت الغصة

علقت في حلقي

لكن الدموع الآن

تنزل.

هذه الكلمات

محفورة فيّ الآن.

في ذات الآن،

تبتسم وتقول:

كم مرّة

دخلنا إلى البيت

ونسي أن فيه جهاز إنذار

وجفل عند انطلاق الصافرة؟

تتلقّفني ضحكتها

تتلاشى العتمة

ويزهر في قلبي

الزنبق شيئًا فشيئًا.

أنفجر ضاحكة

وأنا أتذكر كيف أنك كنت

على الرابعة والنصف زوالًا

بعد القهوة

صيفًا وشتاءً

تغلق كل نوافذ الطابق العلوي

وجميع الستائر.

من سيغلقها بَدَلًا منك الآن؟

أنا أم هي؟

ما تبقّى

بابا يا روحي

كم مرّة

طلبت مني أن أكتب

أتهجّى

حرفًا بعد حرف

كلمة بعد كلمة

لأتعلم

عواصم البلدان

ألوان أعلام الدول؟

أكتب

وعيناك

متعطشة

لتتعلم

معي.

ماذا كنت تفعل

بكل ذلك الأرشيف

كل الصحف

والكتب

المرتّبة

التي لم تقرأها قط؟

كيف كنت تصنّف في رأسك

كلما انقطعت الكهرباء

قصص الفرسان

التي كنت تحكيها لنا

ونحن منكمشون في حضنك؟

بقيت الآن رائحتك

في خزانة الملابس،

ملصقات *البيتلز*

صورة الملكة

(التي سمّيتني على اسمها)

الأعلام البريطانية

أيقونة الحبَل بلا دنَس

القديس بولس والبابا

وعلب حلوى *سمارتيز*

التي كنت تُخفيها عن أطفالي.

حُبٌّ موارب

(فيليب لأبيرت)

الابن سرّ أبيه.

هكذا يقول المثل العربي.

ولكن الأب

قد يكون سر ابنه أيضًا.

هكذا قال لك.

بين الابن وأبيه

فسحة من الصمت.

مساحة من الحب.

زلزال، موت.

احبسْ أنفاسك

في الحال

ولو أن الإعلان عن الهزة

مضى عليه وقت.

النقص يملأ الفراغ.

لكن لا تخف،

هناك أنواع حبٍّ أخرى مواربة.

هكذا قال لك.

ثلج

تنزلين

أنت

خفيفة كالريشة

ويسود

السكوت.

ترجمت قصائد الشاعرة إلى تسع لغات وحظيت باهتمام نقدي

تنسج إليزابيث غريك ذكرياتها مع عائلتها في هيئة قصائد، ودفقات شعرية شديدة التميز والرهافة. الأم والأب والأولاد والعائلة والحبيب والأصدقاء وحتى نفسها. نوستالجيا وحنين ومشاعر متدفقة، حب وافتقاد وموت ورحيل الأحباء.

ترسم الشاعرة عالمًا شديد الذاتية، تنطلق منه نحو مفردات العالم الواسع. مدن وأماكن وشهور، نجوم وفراشات، وصيف وربيع وشتاء. قصائد عميقة لها دلالات مكانية وزمانية، مع التأكيد على الخيط الإنساني الذي يربط بيننا وبين بعضنا وبعض، ويربط بيننا وبين العالم من حولنا.

بلغة شاعرية مميزة، تمكنت الشاعرة ببساطة وعمق أن ترسم لنا عالمها الخاص الذي نكتشف أنه يتقاطع بطريقة مدهشة مع كل من يقرأ الديوان.

إليزابيث غريك: شاعرة مالطية شابة تعيش في فرنسا منذ عام 1999 وتعمل مع العديد من المنظمات الثقافية والفنية. نشرت أشعارها في عدة مجلات محلية ودولية وبلغات مختلفة. صدرت مجموعتها الشعرية الأولى عام 2019 عن دار ميرلين بابليشرز المالطية وتوالت ترجمات الديوان إلى الإيطالية واليونانية والإسبانية وستصدر الترجمة الإنجليزية قريبًا. إليزابيث غريك هي أيضًا مترجمة أدبية نقلت أعمال العديد من الشعراء المالطيين المعاصرين إلى الفرنسية.

Cover design by: Alaa Elnewehy

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

ISBN 978-977-821-305-8